رسالة القونوي على قوله تعالى: (يخادعون الله) دراسة وتحقيق

Al-Qunawi's message on liars about GodStudy and investigation

م.د. عماد جمال احمد الجبوري*

Emad jamal ahmed Al jubory

Ejamal٣٣@yahoo.com

ملخص البحث

هذا البحث يهدف إلى تحقيق مخطوطة "رسالة القونوي" التي تتناول تفسير قوله تعالى: "يخادعون الله "اذ يركز البحث على دراسة النص وتحقيقه وفق منهج علمي دقيق، يشمل مقارنة النسخ الخطية المتوفرة، وتحليل أسلوب القونوي في التفسير واللغة. وهذه الرسالة تُبرز رؤية القونوي الفلسفية والصوفية، حيث يفسر المخادعة بأنها انعكاس لحال النفس البشرية في علاقتها بالله، ويدرس المعاني الباطنية التي تُمزج بين الفهم الظاهري والروحاني للنص القرآني. كذلك يشتمل البحث تقديماً للسياق التاريخي للقونوي، ومكانته بين علماء عصره، مع شرح الأساليب التي استخدمها في الربط بين الفلسفة والتفسير وقد تم في هذا البحث توثيق النص المحقق ومقارنةً بالتفاسير الأخرى وتتبع أهمية هذا البحث من تسليطه الضوء على أحد النصوص القرانية وتحليل مضمون الرسالة من النواحي اللغوية والبلاغية والتفسيرية لإبراز إسهامات القونوي في مجال تفسير القرآن وعلومه. وأخيرا وضعت خاتمة للبحث حيث بينت بنقاط أهم ماتوصلت اليه

الكلمات المفتاحية: القونوي ـ يخادعون ـ تحقيق ـ المخطوط ـ الايمان

Abstract :

This research aims to investigate the manuscript of "Al-Qunawi's Epistle" which deals with the interpretation of the Almighty's saying: "They deceive God" as the research focuses on studying the text and investigating it according to a precise scientific method, including comparing the available manuscripts, and analyzing Al-Qunawi's style in interpretation and language. This thesis highlights Al-Qunawi's philosophical and Sufi

* دائرة التعليم الديني والدراسات الإسلامية / ديوان الوقف السني/ العراق.

vision, as he interprets deception as a reflection of the state of the human soul in its relationship with God, and studies the inner meanings that combine the apparent and spiritual understanding of the Qur'anic text. The research also includes an introduction to Al-Qunawi's historical context, and his position among the scholars of his time, with an explanation of the methods he used to link philosophy and interpretation. In this research, the investigated text was documented and compared to other interpretations. The importance of this research stems from its shedding light on one of the Qur'anic texts and analyzing the content of the epistle from the linguistic, rhetorical and interpretive aspects to highlight Al-Qunawi's contributions in the field of Qur'anic interpretation and its sciences. Finally, I concluded the research where I showed in points the most important findings

Keywords: Al-Qunawi - They deceive - Investigation - Lines - Faith

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين، وصحابته الغر الميامين، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

الحمد لله الذي أنزل الكتاب تبيانًا لكل شيء، وجعله هدى ورحمة للمؤمنين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد، خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإن القرآن الكريم المعجزة الكبرى والمنار الذي ينار به، والمنبع الصافي الذي ينهل منه، وهو دستور الأمة الإسلامية الخالد، والمنهاج الذي ارتضاه الخالق – سبحانه وتعالى – لإصلاح الخلق وهدايتهم، وهو عماد لغة العرب، تدين له اللغة في بقائها وسلامتها، وتستمد علومها المختلفة منه.

ومن أجل ذلك كله؛ كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من المسلمين، إذ كانوا ينهلون منه في مختلف مجالات العلوم، وامتن سبحانه وتعالى عليهم بتسهيل تلاوته وحفظه وتعلمه، فهو العروة الوثقى، من تمسك به فاز بإدراك الحق القويم. لذا، فإن علم التفسير من أشرف العلوم الشرعية، والاشتغال به أعظم أجرا عند الله تعالى، لقول رسولنا صلى الله عليه وسلم: (خَيْرُكُمْ مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ

وَعَلَّمَهُ)[1]، إنَّ التراث الإسلامي زاخر بالمخطوطات التي تمثل ذخيرة علمية ومعرفية، تسلط الضوء على عمق الفكر الإسلامي في مختلف مجالات العلوم، ومنها تفسير القرآن الكريم. ومن بين هذه الأعمال المتميزة رسالة الإمام القونوي، التي تحمل تفسيره لقوله تعالى" *يخادعون* الله وهو خادعهم"، وهي آية ذات أبعاد لغوية وبلاغية وروحية عميقة، استدعت من القونوي معالجة دقيقة تعكس رؤيته التفسيرية والفلسفية.

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يسهم في إحياء أحد النصوص التراثية القيمة، ويدرس رؤية القونوي التي تجمع بين العمق الفلسفي والتأمل الصوفي، مما يثري المكتبة الإسلامية بدراسة تُعيد قراءة هذا النص برؤية حديثة. أسأل الله تعالى أن يوفقني في هذا الجهد، وأن يجعل هذا العمل إضافة علمية نافعة تخدم الباحثين والمهتمين بالتراث الإسلامي

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون من مقدمة ومبحثين وكالآتي:

المبحث الأول : القسم الدراسي وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الاول : دراسة حياة المؤلف . ويشتمل على :ـ

- **أسمه ونسبه :**
- **ولادته:**
- **شيوخه**
- **آثاره العلمية :**
- **وفاته :**

المطلب الثاني : منهج المؤلف، وأسلوبه .

المطلب الثالث : منهجي في التحقيق : ويشتمل على :ـ

- **وصف النسخ المخطوطة.**

[1] صحيح البخاري : المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، ج٦ ، ص١٩٢ ، رقم : ٥٠٢٧.

- **نماذج من صور المخطوطة**
- **منهجي في التحقيق.**

المبحث الثاني : التحقيق (النص المحقق) :

نتائج الدراسة .

المصادر والمراجع .

وأخيرا، فإني أسأل المولى – عز وجل – أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم وأن ينفعنا به يوم القيامة، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

المبحث الأول : القسم الدراسي وفيه ثلاثة مطالب :ـ

المطلب الأول : حياة المؤلف

اسمه:

إسماعيل بن محمد بن مصطفى القونوي الحنفي أبو المفدي عصام الدين الشيخ الامام الكبير العالم العلامة المحقق الفهامة المتجر الأصولي المنطقي المفسر أحد الأفراد بالعلوم العقلية والنقلية[١]

نسبه :

القونوي

مولده :

ولد بقونية[٢] وبها نشأ وتعلم [١]

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (ت ١٢٠٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ – ١٩٨٨ م ، ج١، ص٢٥٨

(٢) بالضم ثم السكون، ونون مكسورة، وياء مثناة من تحت خفيفة: من أعظم مدن الإسلام بالروم وبها وبأقصرى سكنى ملوكها، قال ابن الهروي: وبها قبر أفلاطون الحكيم بالكنيسة التي في جنب الجامع . معجم البلدان : شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م . ج٤ ، ص٤١٥.

شيوخه :

قرأ على الشيخ مصطفى القونوي والامام الشيخ خليل الصوفي القونوي، ومصلح الدين مصطفى المرعشي[٢] وجل انتفاعه وأخذه عن العلامة الفاضل عبد الكريم القونوي، وأبي عبد الله محمود بن محمد الأنطاكي.

وفاق وطار صيته في الآفاق ووصل خبره إلى السلطان أبي التأييد والظفر نظام الدين مصطفى خان وجعله رئيس المعلمين بدار السعادة واقرأ بها الدروس الخاصة والعامة وأعطاه الله القبول وبعده أخذه السلطان أبو النصر غياث الدين عبد الحميد خان احترمه وعظمه وكان يجتمع به ويسمع تقريره ويأمره أن يدرس بحضرته كما كان يفعل أخوه المذكور وكان بدار السلطنة أجل علمائها.

- **مؤلفاته: وله تأليفات كثيرة منها[٣]:.**

- الرسالة العلمية
- الحاشية على المقدمات الأربع لصدر الشريعة
- الرسالة الضادية
- حاشية على تفسير القاضي البيضاوي

وغير ذلك وكان استأذن أن يحج فرسم له بالأمر السلطاني لكونه كان مدرس دار ال سعادة ورئيس علمائها ودخل دمشق في رمضان سنة أربع وتسعين ومائة وألف واستقام بدار صاحبنا المولى الأجل أسعد بن خليل الصديقي واجتمعت به وسمعت من فوائده ولم يتيسر لي الأخذ عنه وأروي عنه بواسطة تلامذته .

---

(١) معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت ، ج٢، ص٢٩٤

(٢) الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ): دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، ج١ ، ص٣٢٦

(٣) ج٢ ، ص٢٩٤

مكانته العلمية:

درس الشيخ بمدارس دارا لسلطنته قسطنطينية بعد دخوله اليها وسكناها واشتهر بين علمائها، وعظمه علماؤها، وفاق وطار صيته في الآفاق، ووصل خبره إلى السلطان أبي التأييد والظفر نظام الدين مصطفى خان، وجعله رئيس المعلمين بدار السعادة، واقرأ بها الدروس الخاصة والعامة، وأعطاه الله القبول، وبعده أخذه السلطان أبو النصر غياث الدين عبد الحميد خان احترمه، وعظمه، وكان يجتمع به ويسمع تقريره، ويأمره أن يدرس بحضرته كما كان يفعل أخوه المذكور وكان بدار السلطنة أجل علمائها[١]

وفاته

ارتحل للحجاز مع الركب الشامي لأداء فريضة الحج وفي العودة تمرض بالمزاريب وجئ به إلى دمشق[٢] مع الركب مريضا ومات ثاني عشري صفر سنة خمس وتسعين ومائة وألف وصلى عليه بالجامع الأموي ودفن بالصالحية بمقبرة مقام نبي الله ذي الكفل عليه السلام بسفح جبل قاسيون[٣] رحمه الله تعالى.[٤]

---

(١) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: ج١،ص٢٥٨ .

(٢) البلدة المشهورة قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف لحسن عمارة ونضارة بقعة وكثرة فاكهة ونزاهة رقعة وكثرة مياه ووجود مآرب، قيل: سميت بذلك لأنهم دمشقوا في بنائها أي أسرعوا. معجم البلدان للحموي ج٢ ، ص٤٦٣ .

(٣) وهو الجبل المشرف على مدينة دمشق وفيه عدّة مغاور وفيها آثار الأنبياء وكهوف، وفي سفحه مقبرة أهل الصلاح، وهو جبل معظّم مقدّس، يروى فيه أخبار الصالحين مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع : عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت ٧٣٩هـ)،الناشر: دار الجيل، بيروت ، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ . ج٣ ، ص١٠٥٧

(٤) سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: ج١،ص٢٥٨ ، الأعلام : خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ): دار العلم للملايين ، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م ، ج١ ، ص٣٢٦

المطلب الثاني : منهج المؤلف.

لابد أن يكون لكل عالم، أو مفسر، منهج علمي يسير عليه، سواء كان في مجال التفسير، أو الحديث، أو العلوم الأخرى، وفي أثناء تحقيقي لهذا الجزء من المخطوط للشيخ إسماعيل بن محمد القونوي، تبين لي المنهج الذي سار عليه الشيخ رحمه الله تعالى .

١. يمزج بين الفهم اللغوي الظاهري والمعاني الباطنية الصوفية، مع التركيز على العلاقة بين النص القرآني وحال النفس البشرية. يهدف هذا المنهج إلى تقديم تفسير شامل يعكس عظمة النص القرآني ويظهر أبعاده الروحية والفلسفية.

٢. وضع تفسيره في سياق العصر الذي عاش فيه، مستفيدًا من التراث التفسيري والفكري الإسلامي الذي سبقه.

٣. عندما نسخت الكتاب (المخطوط) رأيت أن الصفة الغالبة على المؤلف أنه يذكر أقوال العلماء.

٤. الف الشيخ رسالته بطريقة الإيجاز والاختصار، لا على طريقة الاتساع وكان يعتمد غالبا على تفسير الكشاف والبيضاوي .

٥. أن المنهج الذي سار عليه الشيخ رحمه الله هو منهج عقلي.

المطلب الثالث : منهجي في التحقيق : ويشتمل على :-

وصف النسخ المخطوطة.

أولاً: النسخة الأولى:

وهي نسخة نفيسة واضحة الخط مضبوطة الشكل، لا يكاد يقع فيها تصحيف، أو تحريف، ولأهميتها، ووضوح خطها وكلماتها، جعلتها أصلاً في التحقيق، ورمزت لها بالرمز (أ).

اسم المكتبة: قيصري راشد افندي

بلد المكتبة: تركيا

رقم الحفظ:٢٩٧

عدد الالواح:٢

عدد الاسطر:٢١

عدد الكلمات:١١

نوع الخط: نسخ

تاريخ النسخ:١١٨٦هـ

ثانياً: النسخة الثانية:

وهي نسخة تامة أيضاً مضبوطة الشكل واضحة الخط، ورمزت لها بالرمز (ب).

اسم المكتبة:يوسف افندي

بلد المكتبة: تركيا

رقم الحفظ:١٠٥

عدد الألواح:٣

عدد الاسطر:٢١

عدد الكلمات:١١

نوع الخط:نسخ

اسم الناسخ:المؤلف

تاريخ النسخ :١١٨٦هـ

ثالثا : النسخة الثالثة :

وهي نسخة أقل وضوحا من النسختين السابقتين، ورمزت لها بحرف (ج)

- **نماذج من صور المخطوطة**

صورة من النسخة : (ب)

صور من النسخة : (ج)

- **منهجي في التحقيق.**

أما المنهج الذي اعتمدته في إخراج المخطوط وتحقيقه، فقد اتبعت فيه الخطوات الآتية:

١.قمت بقراءة النسخ بتروٍّ، وذلك أولا: لمعرفة أسلوب المؤلف في عرضه للمادة العلمية، وثانيا: طريقة النساخ في رسم الكلمات والحروف في كل نسخة.

٢.كتابة النص المحقق على وفق النسخة (أ) بالمقابلة مع النسخة (ب) للوقوف على الفروق بينها .

٣. قابلت النسخ الموجودة، وكان منهجي فيها الآتي :

أ- حافظت على ألفاظ نسخة الأصل على ما هي عليه إلا إن كان فيها سقط مخلٌ بالمعنى فإني أتممته وجعلته بين معقوفتين هكذا [ ]، وبينته في الهامش، وإن لم يكن السقط مخلاً أشرت إليه في الهامش فقط .

ب - وان كان السقط من النسخة الأُخرى أشرت إليه في الهامش.

ج - اذا ورد الصواب في غير نسخة (أ) فأثبته في المتن وأشير في الهامش إلى أنه ورد في نسخة

(ب) كذا، واذا كان السقط أكثر من كلمة أضعها بين معقوفتين هكذا [ ].- عزوت الآيات القرآنية إلى سورها، وموضعها في المصحف الشريف، وذكرت اسم السورة مع رقم الآية

٤- عرفت بالمدن، والبلدان، والأماكن الواردة،

٥- أثبت علامات الترقيم الحديثة اللازمة لتوضيح النص.

٦- وضعت أنموذجات من ورقات لكل نسخة اعتمدتها في التحقيق .

٧- وأخيرا وضعت قائمة بأسماء المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في دراستي .

٨. وختاما ما بذلته من جهدٍ فهو جهدُ إنسانٍ مقلٍ معرَّضٍ للخطأ والصَّواب، فما كانَ فيهِ من صَوابٍ فمن الله تعالى وحدَهُ، وما كان فيه من خطأ أو سهوٍ أو نسيانٍ فمن نفسي، وجزى الله خيرا مَن قوَّم لي أخطائي وأرشدني إلى جادة الصواب، والحمد لله رب العالمين، وصلى وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الثاني : النص المحقق

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي لا يقصد مخادعته أحد من العقلاء والصلاة والسلام على من حارب الكفرة الاشقياء وعلى آله وأصحابه الذين نصروه في تدمير الأذلاء والأعداء، قال صاحب الكشاف[١]: في تفسير قوله تعالى: سمح يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ سجى [٢] فإن قلت كيف ذلك ومخادعة الله تعالى والمؤمنين لا تصح لأن العالم الذي لا يخفى عليه خافية، لا يخدع، والحكيم الذي لا يفعل القبيح،

(١) هوأبو القاسم محمود بن عمر بن محمد ،العلامة، كبير المعتزلة، أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد الزمخشري، الخوارزمي، النحوي ، صاحب الكشاف ، المفضل، رحل وسمع ببغداد من: نصر بن البطر، وغيره، قال السمعاني: برع في الآداب، وصنف التصانيف، ورد العراق وخراسان، ما دخل بلدا إلا واجتمعوا عليه، وتلمذوا له، وكان علامة نسابة، مات ليلة عرفة، سنة ثمان وثلاثين وخمس مائة. سير أعلام النبلاء، المؤلف: شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هـ)،تحقيق: حسين أسد، بإشراف: شعيب الأرناؤوط [ت ١٤٣٨ هـ]،الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م ج٢٠ ، ص١٥٥ .

(٢) سورة البقرة : الآية ٩

لا يخدع، بصيغه المعلوم، والمؤمنون وإن جاز أن يخدعوا بصيغه المجهول، لم يجز أن يخدعوا، قلت: فيه وجوه.[١]

أحدها: أن يقال كانت صورة صنيعهم مع الله تعالى، حيث { تظاهروا }[٢] بالإيمان وهم كافرون، صورة صنع الخادعين، وصورة صنع الله تعالى معهم، حيث أمرهم بإجراء أحكام المسلمين عليهم، صورة صنع الخادعين[٣].

والثاني: أن يكون ذلك ترجمة عن معتقدهم وظنهم أن الله تعالى ممن يصح خداعه؛ لأن من كان أدعاء الإيمان بالله نفاقا، لم يكن عارفا بالله تعالى، ولا بصفاته، ولا أنه لذاته تعلقا بكل معلوم، ولا أنه غني عن فعل القبائح، فلم يبعد من مثله، تجويز أن يكون الله تعالى في زعمه مخدوعا، ومصابا بالمكروه من وجه خفي، وتجويز أن يدلس على عباده ويخادعهم .[٤] انتهى

ولا يخفى أن الله تعالى عالم بالسر والخفيات، يعلم الأشياء قبل وقوعها، كلية كانت أو جزئية، بتعلق قديم بأنها ستوجد، ويعلم بعد وقوعها، بتعلق حادث، بأنها وجدت الآن أو قبل، فإذا كان كذلك، فكيف يقصد أحد خداعه تعالى، مع [علم] [٥] كل أحد أنه تحت قدرته القاهرة وإرادته

---

(١) الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري [ت ٥٣٨ هـ]الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م [وبآخر الكتاب: «كان الفراغ مِن طبْعِه سنة ١٣٦٢ هـ – ١٩٤٧ م»! فلْيُحرَّر [عدد الأجزاء: ٤]ترقيم الكتاب موافق للمطبوع [تاريخ النشر بالشاملة: ٨ ذو الحجة،ج١،ص٥٧ ، وينظر: مفاتيح الغيب: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .ج١ ، ص٣٠٣.

(٢) في النسخة (ب) يتظاهرون

(٣) ينظر: البحر المحيط (في التفسير): المؤلف: محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي تـ(٧٤٥) ، الناشر: دار الفكر – بيروت ، عام النشر: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م ج١ ، ص٩٢

(٤) تفسير الكشاف: ج١ ، ص٥٧، فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، حققه: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ – ٢٠١٣ م . ج٢،ص١٦٥

(٥) في النسخة (ب) وردت هكذا (علمه)

العلية[١]، ولذا نقل عن شرح التأويلات لا أحد يقصد مخادعة الله تعالى، مع اعترافه وإقراره بأنه خالقه[٢]، قال تعالى: وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ [٣] والمنافقون وسائر الكفرة بأجمعهم معترفون ربهم ويعرفون أنه تعالى يعلم الأشياء كلها لكونهم من أهل الكتاب خصوصا أحبارهم، ورهبانهم، وكون إيمانهم كالايمان لاعتقادهم التشبيه، واتخاذ الولد، لا لعدم عرفانهم بالله تعالى، وصفاته، فيبعد عن مثلهم تجويز أن يكون الله تعالى في زعمه مخدوعا، ومصابا بالمكروه، من وجه خفي، وتجويز أن يدلس على عباده، ويخدعهم، كما زعمه الزمخشري[٤]،

ولهذا تحير منه الماهرون، وتعجب الحاذقون، الكاملون، ويمكن أن يقال: أن العاقل لا يقصد، ولا يظن، ما يمتنع وجوده ما لم يعرض له الحيرة، وفرط الدهشة، وإذا عرض ذلك يقصد ويظن، ما يمتنع وجوده، كقول المشركين:وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٢٣ [٥] يكذبون، ويحلفون عليه، مع علمهم بأنه لا ينفع، من فرط الحيرة، وشدة الدهشة، كما أن قولهم: رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ[٦] لكمال الوحشة، واستيلاء الكربة، وقد أيقنوا بالخلود في جهنم، وامتناع الخروج عنها، والمنافقون، لما شاهدوا شوكة المسلمين، وعزة المؤمنين، وظهور دينهم على جميع الأديان، كما وعده الله تعالى في القران، وقعوا في حيرة عظيمة، ودهشة جسيمة، وكانت قلوبهم متألمة تحرقا على ما فات عنهم من الرياسة، والسيادة، وعلى انقلاب حالهم من العزة، إلى الذلة، كما قال تعالى: فِي

(١) جاء في كتاب الفقه الأكبر [لا يشبه شيئا من الأشياء من خلقه ولا يشبهه شيء من خلقه ولم يجبر أحدا من خلقه على الكفر ولا على الإيمان ولا خلقه مؤمنا ولا كافرا ولكن خلقهم أشخاصا والإيمان والكفر فعل العباد] الفقه الأكبر: المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ)،الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ – ١٩٩٩م .ص١٤

(٢) حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى على تفسير البيضاوي: المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)، دار النشر: دار صادر – بيروت، عدد الأجزاء: ٨ ج١ ، ص٣١٠

(٣) سورة لقمان : الآية ٢٥

(٤) تفسير الكشاف : ج١ ، ص٥٧

(٥) سورة الانعام الآية : ٢٣

(٦) سورة المؤمنون الآية : ١٠٧

قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًاۖ [١] أي: مرض حقيقي كما ذكرنا (من أن قلوبهم متألمة)[٢]، كما صرح به البيضاوي[٣] .

وإن جاز أن يراد به المرض المجازي، فظنوا بتغير مزاج القلب، ان يكون الله تعالى مخدوعا، وخادعا، فحكى الله تعالى عنهم على وفق ظنهم، ولذا قال صاحب الكشاف: (أن هذا ترجمة عن معتقدهم، وظنهم أن الله تعالى ممن يصح خداعه)[٤]، كما أن قوله تعالى:وَٱللَّهُ يَشۡهَدُ إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ [٥] ترجمة عن معتقدهم، وزعمهم الفاسد، واعتقادهم الكاسد، على وجه أي: أن المنافقين كونهم كاذبين في قولهم: (إنك لرسول الله) ؛ لأنهم يعتقدون، أنه غير مطابق للواقع، فيكون هذا الخبر كاذبا عندهم، مع أنه صادق في نفس الأمر، فأخبر الله تعالى:(إن المنافقين لكاذبون)، بناءا على ظنهم، وزعمهم، والالم مرض حقيقة عند أهل اللغة، وكونه عرضا، لا مرضا، من تدقيق الأطباء، على أنهم يطلقونه على ذلك، حيث قالوا الصداع ألم في الراس، كذا قيل: فلما ضعفت قواهم، واختل عقولهم، باستيلاء مرض الألم، والتأسف على ما فات، من النعم، على قواهم وقلوبهم، غلب سلطان القوى، وهو قوة الوهم، على عقولهم، فوقعوا في هذه الفتنة، العظيمة، والورطة الجسيمة، فظنوا أنه تعالى يصح أن يكون مخدوعا، وخادعا، فحكى الله تعالى عنهم ترجمة عن معتقدهم، وظنهم.[٦]

---

(١) سورة البقرة الآية : ١٠

(٢) ينظر: أنوار التنزيل وأسرار التأويل: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)
المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ج١ ، ص٤٥ .

(٣) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي البيضاوي الشيرازي، الشافعي قاض، عالم بالفقه والتفسير والأصلين والعربية والمنطق والحديث. توفي بتبريز. من مصنفاته الكثيرة: منهاج الوصول الى علم الاصول، شرح المطالع في المنطق، الغاية القصوى في دراية الفتوى في فروع الفقه الشافعي، انوار التنزيل وأسرار التأويل في التفسير، وشرح مصابيح السنة للبغوي سماه تحفة الابرار. معجم المؤلفين : ج٦، ص٩٧

(٤) تفسير الكشاف : ج٢،ص١٦٣

(٥) سورة المنافقون الاية ١

(٦) غرائب القرآن ورغائب الفرقان: المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)،المحقق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ ،ج١ ، ص١٦٣

هذا مراد جار الله العلامة[1]، ولا يخفى أن هذا لا يقتضي الوقوع بداهة، وانفاقا، وينبغي أن يطلب لكلام العلماء الراسخين، محملا صحيحا، إذا صدر منهم ما يكون استحالته بديهية ظاهرة على من له أدنى تمييز، ولا يتجاسر على تخطئتهم؛ لأنهم آباء التعليم، وأساس الدين القويم، والعلامة الزمخشري، علم التحقيق، ومنار التدقيق، فلا جرم أن كلامه، مؤول بما سنح لي من أنوار التوفيق.

كتب هذا التوشيحات جامع هذه الأوراق المحتاج الى رحمة ربه الخلاق راج عفوه ورضوانه يوم التلاق، يوم لا ينفع مال ولا بنون بالاتفاق، الحمد لوليه مصليا، مسلما على اتمام هذا المطلب الاعلى والمقصد الاقصى بحسن توفيق الله الملك المولى في شهر شعبان قبيل رمضان في سنة ست وثمانين ومائة والف من الهجرة النبوية عليه أفضل الصلوات وأشرف التحيات وعلى آله وأصحابه أعلى التسليمات.

(١) هو الزمخشري

نتائج الدراسة:

أحمدُ الله سبحانه وتعالى على كرمه الذي ليس له حدود، وأصلي وأسلِّم على سيدنا محمد صاحب الكرم والجود، وعلى آله وصحبه أجمعين. تُعد رسالة القونوي حول قوله تعالى" :يخادعون الله "عملاً علميًا متميزًا يعكس التداخل بين علوم اللغة والتفسير والبلاغة. يمثل هذا البحث إسهامًا جديدًا في تحقيق النصوص التراثية ودراستها، مما يفتح المجال لمزيد من الدراسات المستقبلية في هذا المجال. فبعد التمام من دراسة وتحقيق هذا المخطوط توصلت إلى عدة نتائج وأهمها ما يأتي:

١.أظهرت الرسالة فهم القونوي العميق للغة العربية وعلوم القرآن.

٢. بيّن القونوي أن مفهوم "المخادعة" في الآية يعكس عدل الله وسننه في معاملة البشر بمقتضى أفعالهم.

٣.وجدت أن هذه الرسالة من التفاسير الموجزة والمقتصرة على بعض الآيات، إذ لم يفسر الشيخ رحمه الله القران كاملا، لذلك فإن رسائله ليست بالطويلة المكلة ولا بالمختصرة المخلة.

٤.لم أقف على ترجمة وافية لحياة المؤلف الشخصية ، ولم يظهر لي من حياته الا اسمه وكنيته وسنة وفاته، وكذلك مؤلفاته الأربع فقط .

٥.لقد وجدت من خلال تحقيقي للمخطوط أن الشيخ رحمه الله تعالى لم يكن له ترجيحات في شتى المسائل إلا نادراً .

قائمة المصادر

- **القرآن الكريم**

١. الأعلام: المؤلف: خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (ت ١٣٩٦ هـ)، الناشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر – أيار / مايو ٢٠٠٢ م

٢. أنوار التنزيل وأسرار التأويل: المؤلف: ناصر الدين أبو سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت ٦٨٥هـ)، المحقق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٨ هـ .

٣. معجم المؤلفين: المؤلف: عمر رضا كحالة، الناشر: مكتبة المثنى – بيروت، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٤. معجم البلدان: المؤلف: شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (ت ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م .

٥. مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع: المؤلف: عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين (ت ٧٣٩هـ)، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ.

٦. البحر المحيط (في التفسير): المؤلف: محمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي [ت ٧٥٤ هـ ، الناشر: دار الفكر – بيروت، عام النشر: ١٤٢٠ هـ – ٢٠٠٠ م.

٧. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، [ت٥٣٨ هـ]،دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي بيروت ـ لبنان ، الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ – ١٩٨٧ م .

٨. غرائب القرآن ورغائب الفرقان: المؤلف: نظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمي النيسابوري (ت ٨٥٠هـ)،المحقق: الشيخ زكريا عميرات،الناشر: دار الكتب العلميه – بيروت، الطبعة: الأولى – ١٤١٦ هـ .

٩. حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي، المسماة: عناية القاضى وكفاية الراضى عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: المؤلف: شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي (ت ١٠٦٩هـ)،دار النشر: دار صادر – بيروت،عدد الأجزاء: ٨.

١٠. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

١١. صحيح البخاري : المؤلف: أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي، المحقق: د. مصطفى ديب البغا، الناشر: (دار ابن كثير، دار اليمامة) – دمشق، الطبعة: الخامسة، ١٤١٤ هـ – ١٩٩٣ م، عدد الأجزاء: ٧

١٢. سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر: محمد خليل بن علي بن محمد بن محمد مراد الحسيني، أبو الفضل (ت ١٢٠٦هـ)، دار البشائر الإسلامية، دار ابن حزم ، الطبعة: الثالثة، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م .

١٣. مفاتيح الغيب = التفسير الكبير: المؤلف: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت ٦٠٦هـ)، الناشر: دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – ١٤٢٠ هـ .

١٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل المؤلف: محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ت٥٣٨هـ، الناشر: دار الريان للتراث بالقاهرة – دار الكتاب العربي ببيروت الطبعة: الثالثة ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .

١٥. فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب، (وهو حاشية الطيبي على الكشاف)، المؤلف: شرف الدين الحسين بن عبد الله الطيبي (ت ٧٤٣ هـ)، حققه: نخبة من الباحثين بإشراف جائزة دبي للقرآن الكريم، الناشر: جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الطبعة: الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م .

١٦. الفقه الأكبر: المؤلف: ينسب لأبي حنيفة النعمان (ت ١٥٠هـ)، الناشر: مكتبة الفرقان – الإمارات العربية، الطبعة: الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م .